مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٩

أخلاقيَّاتُ السَّلام العالمي في الفلسفةِ الزرادشتيَّةِ

م. د. نور حكمت خضوري
جامعة الموصل/ كلية الآداب
قسم الفلسفة

البريد الإلكتروني Email: noor.hikmat@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: صراع الأضداد، الإرادة الحرّة، المسؤولة الأخلاقية، السَّلام العالمي.

كيفية اقتباس البحث

خضوري، نور حكمت ، أخلاقيَّاتُ السَّلام العالمي في الفلسفةِ الزرادشتيَّةِ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Global Peace Ethics in Zoroastrian Philosophy

Lect. Noor Hikmat Khadhoori (Ph.D)
Mosul University/College of Arts
Dept.of Philosophy

Keywords : The struggle of opposites, free will, moral responsibility, world peace.

How To Cite This Article
Khadhoori, Noor Hikmat , Global Peace Ethics in Zoroastrian Philosophy ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ABSTRUCT

Peace in Zoroastrian philosophy is depend on the principle of universalizing the concept of good. This can be considered the fundamental principle from which Zoroastrianism proceeded toward achieving world peace, through the triumph of good over evil in their existential struggle. Human beings play a crucial role in achieving this through the exercise of free will. They bear the responsibility of choosing good actions to achieve inner and outer peace. The conscious individual is tasked with cultivating the ethics of peace, which, according to Zoroastrian philosophy, are embodied in good thought, good word, and good deed. This requires practicing contemplation and reflection to grasp the truth and the key to Zoroastrian wisdom, which holds that good comes from good, and evil comes from evil. Therefore, he embarks on a relentless pursuit of world peace by performing all good deeds and avoiding harmful actions, and by teaching those who are ignorant of this, since it will be the duty of the Zoroastrian to love all people so that, through the act of unconditional love, he can transform the enemy into a friend, the wicked into the good, and the ignorant into the learned, so that

society can be reformed after the individual is reformed, and world peace can be achieved through the harmony of man with himself, with others, and with society, the universe, and the world.

الملخَّص

إنَّ السَّلام في الفلسفة الزرادشتية يرتكز على مبدأ تعميم فكرة الخير، إذ يمكن أن نعدها المبدأ الأساس الذي انطلقت منه الزرادشتية نحو تحقيق السَّلام العالمي؛ وذلك من خلال انتصار الخير على الشر في صراعهما الوجودي. ويلعب الإنسان دوراً اساسياً في الوصول إلى ذلك من خلال فعل الإرادة الحرّة، إذ يقع عليه مسؤولية اختيار الأفعال الخيرّة لتحقيق السَّلام الداخلي والخارجي، فالإنسان الواعي ستقع عليه مهمة تربية ذاته بأخلاقيات السَّلام المتمثلة وفق الفلسفة الزرادشتية بالفكر الخيرّ، القول الخيّر والعمل الخيّر، والذي يتطلب من الإنسان ممارسة فعل التأمل والتفكّر لإدراك الحقيقة ومفتاح الحكمة الزرادشتي والذي يرى بأن من الخير يأتي الخير، ومن الشر يأتي الشر. وعليه ينطلق نحو السعي الحثيث لتحقيق السَّلام العالمي بالقيام بكل الأعمال الخيرّة وتجنب الأفعال المؤذية، وتعليم من يجهل ذلك، إذ سيكون من واجب الزرادشتي محبة البشر جميعاً ليتمكن من خلال فعل المحبة غير المشروط من تحويل العدو إلى صديق، الخبيث إلى طيب، والجاهل إلى عالم، وهكذا يجري إصلاح المجتمع بعد إصلاح الفرد ويتحقق السَّلام العالمي من خلال انسجام الإنسان مع ذاته ومع الآخر والمجتمع فالكون والعالم.

المقدِّمة

تُعدُّ الفلسفة الزرادشتية إذا أمكن القول– من الفلسفات الَّتي تجمع بين المنظور الميتافيزيقي والمنظور الأخلاقي؛ إذ تسعى إلى التأكيد على فكرة الخير وايجاد حلاً لمشكلة الشر وفق فكرة العالمية (إله كوني عالمي) وهي الفكرة الَّتي نادت بها الزرادشتية، ومثلت باكورة لأهم انقلاب فكري أخلاقي روحي وفلسفي قام به مؤسسها زرادشت.

تكمن أهمية البحث في عرض الجوانب الأخلاقية الَّتي دفعت زرادشت لحمل لواء حلّ مشكلة من أهم المشاكل الَّتي أقلقت وحيرت الإنسان ونقصد بها مشكلة الشر إذ كان عليه أن يبحث في ميتافيزيقا الشر لا الخير؛ لأن ما كان يقض مضجعه هو الشر وطبيعته ومصدره وما هو المنهج الأخلاقي الصحيح للتغلب والقضاء عليه، وقد كان ذلك من خلال مضامين فلسفية تمثلت بالإرادة الحرة في اختيار ذلك المنهج الذي يؤدي وفق الرؤية الزرادشتية لمن يسير عليه إلى الغاية النهائية الَّتي يسعى لها الإنسان منذ الإزل ونقصد بها السعادة والمتمثلة وفق الفلسفة الزرادشتية بتجديد وتغيير العالم وتحقيق السَّلام العالمي.

لكنْ لنصل إلى الغاية لابد أن نسلك المنهج المناسب وهذا بدوره يحتاج منا إلى ادوات ووسائل تتناسب والغاية فكانت الحاجة إلى التعليم والتثقيف والتمحيص والتفكّر والتأمل لمعرفة واختيار الطريق أو المنهج الصحيح والتحلي بالقيم الأخلاقية الَّتي تتناسب وذلك المنهج، وكذلك معرفة الطريق والمنهج الخاطئ لتجنبه والابتعاد عنه ومحاولة تحويل من سار فيه عن جهل إلى المنهج الصحيح.

إن السعادة في تحقيق السَّلام الَّتي تطلبها الزرادشتية لن تكون ربما وقفاً على الإنسان في عالمه الفيزيقي؛ بلْ هي سعادة تتعدى إلى مرتبة الألوهية في العالم الميتافيزيقي– فإله الخير– سعادته وحريته ستتوقف على الإنسان وقدرته على تعميم الخير وتقليص الشر إلى حدّ القضاء عليه .

لقد لعب الإنسان في هذه الفلسفة دوراً رئيسياً إذ حمل على كاهله مسؤولية أخلاقية عظيمة وهي إنقاذ إله الخير من سجنه في العالم الفيزيقي عن طريق القضاء على الشر وفق المنهج الزرادشتي الأخلاقي وهو تحويل العدو صديق والجاهل عالم والخبيث طيب وهي واجبات على كل إنسان زرادشتي التخلق بها. هذا ما سيدور حوله بحثنا الموسوم **(أخلاقيات السَّلام العالمي في الفلسفة الزرادشتية)** والذي تضمن مقدمة وثلاث مباحث، تطرق المبحث الأول إلى التأسيس والنشأة وكذلك الثورة الفكرية الَّتي أحدثها زرادشت في عصره، يليها المبحث الثاني الذي تناول الحديث عن الفلسفة الطبيعية وصراع الأضداد، يلحقه المبحث الثالث الذي دار حول الإرادة الحرّة وأخلاقيات السَّلام العالمي، ثم خاتمة بأبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: نبذة عن الفلسفة الزرادشتية

- **التأسيس والنشأة:**

يُنظر إلى الزرادشتية على أنها ديانة وفلسفة ظهرت منذ القدم في بلاد فارس وتعود تسميتها نسبه إلى مؤسسها (زرادشت– Zarathustra) وفي اليونانية يكتب (Zoroaster) (عبود، ٢٠١٨، صفحة ٨٨٥) ولد كما يُعتقد في اليوم التاسع من الشهر الخامس حسب التقويم الزرادشتي حوالي عام ٦٢٨ ق.م. أي في الثلاثين من شهر أيار حسب التقويم الميلادي (عثمان، ب.ت، صفحة ٢٠). اما وفاته فكانت حوالي ٥٨٣ ق.م. ويقال أنه ولد في شمال غرب بلاد فارس بالقرب من نهر داريزا (آراس) (الساموك، ٢٠٠٢، صفحة ٧٨). وزرادشت اسم مركب من مقطعين، الأول (Zer) ويقصد بها الأصفر أو الشاحب، والمقطع الثاني(Hiştir or Ustra) تعني الجَمَل فأصبح معنى الاسم (صاحب الجَمَل الأصفر) (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٢٢).

بدأ زرادشت تحري الحقيقة عندما اصبح يدور في باله اسئلة وجودية عميقة عن مصدر الشر الموجود في العالم ومن هنا بدأ مشاوره البحثي الروحي، فاعتزل الناس ليصل إلى الحقيقة وكاد أن يخيب ظنه ومسعاه لولا تأمله منظر غروب الشمس وفجأة جاءته لحظة الإدراك الَّتي توصل من خلالها إلى مفتاح الحكمة وهو " الخير لابد أن يكون خيراً دائماً.. والشر لابد أن يكون شراً أبداً" (مظهر، ٢٠١٢، الصفحات ٢٨١-٢٨٣).

هذه ربما كانت الشرارة لتأسيس أهم فلسفة أخلاقية اصلاحية جاءت لتُحدث تجديداً لبعض الأفكار الفارسية الَّتي لم تعدّ ربما تناسب العصر الذي وجد فيه زرادشت، والذي بعد وصوله للحقيقة ترك عزلته واتجه نحو الناس ليُنير نفوسهم وعقولهم مُحدثاً بذلك ما يمكن أن نسميه ثورة روحية – فكرية على ما كان موجوداً في عصره من معتقدات وأفكار بالية، وكل ذلك جرى حينما كان زرادشت في سن الثلاثين، إذ تلقى تعاليمه الَّتي دونت فيما يعرف بـ (الأفستا-Avesta) وهو الكتاب المقدس للزرادشتية والمصدر الوحيد الذي يستقي منه الدارسين والباحثين معلوماتهم عن هذه الفلسفة القديمة وإن كان قد تدمر اغلبه ولم يسلم سوى اجزاء ثلاثة هي ١.(الياسنا-Yasna) وتحتوي الطقوس الليتورجية وكذلك ضمت ما يعرف بالجاثاس-Gathas (الأغاني أو التراتيل)، ٢.(والياشتس-Yashts) وتعني أناشيد الأضاحي المقدسة لقسم من الآلهة (زينر، ٢٠١٠، صفحة ٢٦). ٣.(والفَنْديداد- Vidrvdat) ويقصد بها الشريعة ضد الديوات(قوى الشر) والَّتي تضم قواعد التطهير من النجاسة (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٢٧). لقد أشرنا آنفاً بأن زرادشت جاء لكي يُحدث تجديداً في الفكر الفارسي في قضايا لم تعدّ تلائم عصره وهذا يدفعنا للحديث عن أهم ثورة روحية وانجاز فكري إصلاحي قام به آنذاك.

- **الثورة الفكرية الزرادشتية:**

لقد وجدَّ زرادشت في مجتمع وثني يعبد آلهة الطبيعة ويؤمن بالسحر والشعوذة وبتقديم الأضاحي الَّتي كان الكهنة يُقنعون بها الناس لنيل الثواب (النشار، ٢٠١٢، صفحة ١٦٩). فجاء زرادشت حاملاً لواء التمرد رافضاً وثنية مجتمعه موضحاً لهم أنواع الفساد الأخلاقي الذي تضمنتها حياتهم الهمجية فقرر أن يهب ذاته لإصلاح ذلك الفساد ويرشد الناس إلى الحقيقة (مرحبا، ١٩٩٥، الصفحات ٩٣-٩٤). وقد تميزت ثورته بالآتي:-

النزعة نحو العالمية والمساواة والتوحيد، ففي بحث زرادشت عن المشكلة الَّتي كانت تقض مضجع الإنسان ونقصد بها مشكلة الشر، ووصوله إلى مفتاح الحكمة من تأمله حركة الشمس من شروق وما يصحبه من نور إلى غروب وما يرافقه من ظلمة، أدرك أن ما هو نور سيبقى هكذا وما الظلام سوى غياب نور الشمس ولكن سيأتي الوقت الَّتي تعود فيه الشمس للظهور

لتقضي على الظلام. وعليه نادى زرادشت بعبادة إله واحد هو (أهورمزدا) ومعناه (أنا خالق الوجود) (مرحبا، ١٩٩٥، صفحة ٩٤) وصرح بكل شجاعة بأنه إله كوني عالمي وليس فارسي؛ لكون النور يعم الكرة الأرضية وليس وقفاً على شعب دون شعب آخر، ثائراً بذلك على الآلهة المحلية الَّتي كانت سائدة في زمانه وبين ابناء شعبه (غلاب، ١٩٣٨، صفحة ١٨٨). وقد أكد زرادشت في حديثه مع الملك كشتاسب على ذلك بقوله: " يا صاحب الجلالة.. لا شك أن أهورمزدا الإله الواحد الحكيم خلق كل ما هو خير في العالم كله، وأن روح الشر خلق كل ما هو شر في العالم. وما من شك أيضاً في أن مملكة الإله لا تقتصر على إيران وحدها بل هي تشمل العالم كله" (مظهر، ٢٠١٢، صفحة ٣٠٣). وبذلك انكر زرادشت تعدد الآلهة الَّتي آمن بها أجداده وأباءه، ولم يذكر اسمائهم كما رفض تقديم الأضاحي والقرابين لمظاهر الطبيعة الَّتي كانت تُعبد وتُقدس في زمانه (الموحي، ٢٠١٦، صفحة ٤٤). فكان من المفكرين الأوائل الذين امتلكوا عقلاً متنورا منفتحاً متمثلاً بتحرره من فكرة الآلهة القبلية، والآلهة الحامية لشعب معين، وتقديمه لفكرة إله واحد كلي عالمي للبشرية جمعاء.

الفرد والإرادة الحرة وعدم التمييز: أكد زرادشت على الفرد وقدرته على تحقيق مصيره بإرادته الحرّة من خلال فعل الاختيار بين الخير والشر، وعليه أنكر زرادشت ما كان يصوره الكهنة للعامة بأنهم– أي الكهنة– خير الناس ووسطاء بين البشر والآلهة؛ لكونهم دائماً في المعابد يعبدونها (مظهر، ٢٠١٢، صفحة ٢٧٧). موضحاً بأن أهورمزدا لا يميز بين البشر وليس بحاجة إلى وسيط والكل قادر على التواصل معه إذا اتبع منهجه الأخلاقي الصحيح (عثمان، ب.ت، صفحة ٢٤).

التأكيد على التمدن والاستقرار والسَّلام: لقد عاش زرادشت في مجتمع زراعي ريفي رعوي يزرع ويربي المواشي ويتعرض للعديد من الغزوات من قِبل القبائل البدوية لسرقة المحاصيل والقطعان (يحيى، ٢٠١٦، صفحة ٧٧)، وقد شكل ذلك خطراً بالنسبة لزرادشت الذي رفض وثار على تلك الأفعال الهمجية الَّتي يفعلها الغزاة معتبراً المجتمع الزراعي المستقر للزراعة وتربية الحيوانات رمزاً للخير والتمدن والاستقرار والسَّلام والمجتمع البدوي الغازي والناهب للمحاصيل والحيوانات رمزاً للشر والتخلف والفوضى والعدوان (بارندر، ١٩٩٦، صفحة ١٣٩)، مما حذا به لجعل الغاية والهدف من رسالته هو نشر الخير والقضاء على الشر وبلوغ السَّلام، ولتحقيق ذلك لابد من أدوات تساعد من الوصول للهدف، وكانت تلك الأدوات هي التعليم لفهم الأفكار المعقدة والمفاهيم المجردة (سَعفان، ١٩٩٩، صفحة ١٠٥)، وتقوية الجنس البشري ونشر الخصوبة والعمران في أرجاء الكرة الأرضية (محمود، ١٩٩٩، صفحة ٣٤). وهذا ما أكده زرادشت حينما سأل إلهه

هرمزد وهو ذاته أهورامزدا (سَعفان، ١٩٩٩، صفحة ١١٣) في الفنديداد الفصل الثالث بقوله:" يا خالق الأجساد، يا قدوس! ما هو ثاني مكان تشعر الأرض فيه بأنها أسعد؟ أجاب هرمزد: هو حيث ينشئ مؤمن داراً مع قسيس، مع ماشية، مع زوجة، مع أولاد، مع قطيع جيد. فتنمو في هذه الدار الماشية، تنمو الفضيلة، ينمو العلف، ينمو الكلب، تنمو الامرأة، بنمو الولد، تنمو النار. وينمو كل شيء صالح للعيش" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، الصفحات ٤٠-٤١).

الألوهية وفكرة الخير: عُدّ أهورامزدا وجهان لعملة واحدة فهو والخير شيء واحد، أي أن الإله أهورامزدا كان عين صفاته، فعندما يقول الزرادشتي أهورامزدا فيعني الخير وعندما ينطق بالخير يعني به أهورامزدا. وهكذا أقام زرادشت فلسفته الأخلاقية والروحية على فكرة الخير (غلاب، ١٩٣٨، صفحة ١٨٩)، وهذا يقودنا للحديث عن الفلسفة الطبيعية وصراع الأضداد في الزرادشتية.

المبحث الثاني: الفلسفة الطبيعية وصراع الأضداد في الزرادشتية

الفلسفة الطبيعية وفق الرؤية الزرادشتية:

إن من يطالع الزرادشتية وما كُتب عنها يجد أن الفلسفة الطبيعية وتفسير مظاهرها المتنوعة لا يتوقف على التفسير الآلي المادي، بلْ وجدّ الزرادشتي أن الكون والوجود يجري وفق نسق أخلاقي ميتافيزيقي غايته الاستقرار وحفظ النظام (آشا-Asha) وتحقيق السَّلام ضد الفوضى والشر والعنف (دروج-Druj) (زينر، ٢٠١٠، صفحة ٢٩).

فالفلسفة الطبيعية وفق الرؤية الزرادشتية، تضم في ثناياها إلى جانب طبيعتها المادية نسقاً أخلاقياً وروحانياً أوجده إله الخير والنور (أهورامزدا)، إذ جاء القول على لسان زرادشت في ياسنا ٤٤:٣ ما ترجمته: "أسألك هذا، فقل لي الحقيقة يا آهورا: مَنْ كان الأب وخالق آشا، الحقيقة؟ مَنْ الذي حدد مسار الشمس والنجوم؟ مَنْ سِواك رتب القمر ليزداد ويتناقص؟ من غيرك يفعل هذا؟.. مَنْ هو الصانع الذي خلق النور والظلام؟ مَنْ الصانع الذي أوجد ظاهرة النوم واليقظة؟ مَنْ خلق الفجر والظهر والليل ليُذكر الإنسان الواعي بواجبه؟ (Irani، ب.ت، صفحة ٣٣).

عليه فإن الطبيعة في الفلسفة الزرادشتية تحمل معنيان أحدهما مادي يختص بالوجود الفيزيقي للعناصر الأولى للكون والّتي من خلالها جرى إيجاد الكائنات الحية وهي (النار الهيولى الأولى منها نشأ الهواء ومن الهواء وجد الماء وأخيراً التراب تولد من الماء) (حسن، ١٩٩٩، صفحة ٢٩). وتجدر الإشارة بأن الزرادشتية تعتقد بأن البذور الأصلية للإنسان الأول والثور الأول تولدت من النار وليس الماء" (كوبر، ٢٠١٤، صفحة ٢٢٥). المعنى الثاني أخلاقي روحاني،

على أساس أن كل عنصر طبيعي مرتبط بقوى ميتافيزيقية، يمنحها القداسة ويجعلها ذات صلة بصراع الأضداد الكوني – الأخلاقي بين الخير والشر.

العناصر الطبيعة ودلالاتها الرمزية والأخلاقية في الفلسفة الزرادشتية:

- الشمس والنار في الفلسفة الزرادشتية كانتا مقدستان وترمزان للإله أهورمزدا، الشمس في السماء تُجسد روح الإله، لمشابهتها إياه في صفاته كالنور والحياة والخير الذي تفيض به على الوجود وما فيه مقابل الظلام الذي يجسد روح الإله أهريمن ويرمز للموت والعتمة والفساد، وأما النار فكانت تُجسد قوة أهورمزدا على الأرض يستطيع الزرادشتي استخدامها كرمز لـ (آشا– النظام) وللنور الإلهي الذي وضعه أهورمزدا في البشر عند خلقهم من قِبله (بارندر، ١٩٩٦، صفحة ١٣٨).
- الهواء والريح: تعد من جنود أهورامزدا الخيرين ورد ذكرها في الفنديداد عندما سأل زرادشت إلهه وهو جالس على جرف نهر أراس بقوله:" هرمزد، أيها الروح الكثير الخير، يا خالق عالم الأجساد، يا قدوس! كيف أخلص العالم من هذه الدروج؟ ومن أهرمن الرديء؟ أجابه هرمزد: استغث، يا زرادشت، بقوة الرياح، خليقة مزدا، بنت أهورمزدا الجميلة الخيرة" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٧٦).
- أما التراب والأرض فيمكن أن نعتبرهما رمزاً للعمل الطيب تحرسهما (سبينتا أرمايتي– التقوى المقدسة) (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٣). أوجدهما أهورمزدا بذاته، يشير إلى ذلك زرادشت في حديثه مع أهورمزدا بقوله في ياسنا٣:٤٧ بما ترجمته: "أنت حقاً، يا إلهي، تمتلك الحكمة المقدسة. أنت من خلق الأرض الأم المبتهجة." (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٢٨). وعليه تُعدّ الأرض شيئاً مقدساً لذلك يمتنع الزرادشتي من دفن موتاه فيها حفاظاً على نقائها؛ لكون الموت شر ومن فعل أهريمن لذلك يضع الزرادشتي جثث موتاه فوق ابراج تعرف بـ (ابراج الصمت) لتأكلها الطيور الجارحة (مظهر، ٢٠١٢، صفحة ٢٧٣).
- المياه والأمطار من العناصر المقدسة أوجدها أهورمزدا وهذا ما أكدته الفنديداد في فصلها التاسع عشر بالقول: "أستغث، يا زرادشت، بخليقة أهورامزدا نفسها. زرادشت أتبع كلامي هذا: أستغيث بالأرض الَّتي خلقها أهورا، بالماء الذي خلقه أهورا، بالشجرة المقدسة. " (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٨١).

لقد ارتبط الماء بأحد القوى الروحية المسماة (هاورفاتات) (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٣) ومعناها الكمال (يوسفي، ٢٠١٢، صفحة ١٣٩). لذلك استعمل لغرض التطهير من النجاسة وحرم على المرء تلويثه وقد اشار زرادشت لذلك في هايتي ٣٨:٣،٥ بقوله: "أيتها المياه! نقدسك

جارية وراكدة، عندما تكونين صالحة للملاحة لآهورا، نقدسك أيتها المياه في الجريان لأجل الطهارة. أيتها المياه! سَمّينا الأفضل والأروع غزارتكِ وحنانك[كحنان الأمهات]، دفئكِ، حكمك المطلق واعتناؤكِ بالفقراء. لكِ كل المِنح الطيبة يا صاحبة الأيادي الطويلة الَّتي [باستطاعتها] أن تصل إلى الأمراض والتعاسة [وتشفيها] يا أم الحياة" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٧١) ولأهمية الماء والأمطار جاء في الفصل الحادي والعشرين من الفنديداد القول الآتي:" تعالي، يا سحب، تعالي! من أعالي السماء اهبطي إلى الأرض بألف قطرة مطر، بعشرة آلاف قطرة (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٨٩).

- النباتات: من الموجودات الخيّرة وهي من صنع أهورمزدا يشهد بذلك قول زرادشت في ياسنا ٥١:٧ بما ترجمته: "يا خالق امنا الأرض والماء والنبات" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٣٥). وهي تنتمي إلى قوة روحانية خيرة تدعى أماريتي وتعني العمر الطويل أو الخلود إذ جاء في ياسنا ٤٨:٦ ما ترجمته: "لأن أماريتي، الروح المقدسة، مع قوة التفكير الحازم، سوف تباركنا بالسَّلام والازدهار.. وقد أوجد لأجلها أهورمزدا النباتات وجعلها تنمو، من خلال قانون الطبيعية الحق" (Irani، ب.ت، صفحة ٤٢).
- الحيوانات: لقد اعطت الزرادشتية للحيوان، ولا سيما النافع منها مكانة مميزة في فلسفته؛ لكونها مخلوقات أهورامزدا فجاء القول في هايتي (ڤاهو هشتارا گاتا) ٥١:٧ الآتي: "أمنحني الكمال والخلود يا من خلقت الثور والماء والنباتات من خلال الروح الأسمى يا مازدا" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٩٣). وقد شجعت الزرادشتية على رعايتها والرأفة بها واصبح تربية الحيوانات يأتي بالدرجة الثانية بعد الزراعة لأهميتها ووصلت إلى حد تحريم صيدها وقتلها لغرض التسلية (أحمد، ٢٠٠١، صفحة ٦٦).

لقد قدس الزرادشتي الحيوانات، موضحاً ذلك ما ورد في هايتي ٣٩:٢:" نقدس أرواح الحيوانات الداجنة..." (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٢). ولا سيما الثور والكلب و البقرة فجاء القول في الفنديداد الفصل٢١ ذكر للثور بما نصه:" التحية لك، أيها الثور النافع! التحية لك، أيها الثور مانح الخير!" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٨٩). كذلك جرى الحديث عن الكلب ووضعه في المنزلة الثانية بعد الثور؛ لكونه يستعمل لحماية المواشي وحراسة ممتلكات البشر (أحمد، ٢٠٠١، صفحة ٦٧). فقيل في الفصل الثالث عشر من الفنديداد الآتي: "ما هو المخلوق الجيد الذي من بين مخلوقات الروح الخير يذهب، كل ليلة من منتصف الليل إلى طلوع الشمس، يقتل آلافاً من مخلوقات الروح الشرير؟ أجاب هرمزد: هو الكلب ذو الظهر المنتفش والرأس المستدق.." (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، الصفحات

١٣٥-١٣٦). وهناك البقرة أيضاً من خلق أهورمزدا الَّتي حظت بالتقديس فجاء في هايتي ٣٩:١ اشارة لقدسيتها بالقول الآتي:" هكذا، نقدس روح البقرة و[خالق] البقرة. أرواحنا وأرواح الماشية تضمن سلامة حياتنا، ولأجلهما ستكون الحياة" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٢).

ربما المقصود بروح البقرة هو فوهو ماناه- الغاية الطيبة ويعتقد أنه سيد البقرة الرحيمة الَّتي كان ينظر إليها كرمز للخير الخلاّق الذي يحفظ حياة الناس ويغذيها (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٣). وقد أشار زرادشت إلى ذلك في هايتي ٣٧:٢ بقوله:" نحن نحيا بفضل البقرة" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٠).

نستشف من ذلك أن الفلسفة الزرادشتية قد عدت الوجود الطبيعي وجوداً لا محايداً من ناحية احتوائه على جانبين احدهما مادي فيزيقي والثاني أخلاقي ميتافيزيقي مرتبط بقوى خيرة تمارس دورها في عملية الصراع بين الخير والشر من أجل الوصول إلى السَّلام العالمي وتجديد العالم.

صراع الأضداد الكوني – الأخلاقي:

تؤكد الفلسفة الزرادشتية على أهمية الثنائية الكونية الأخلاقية في صراع الأضداد، فالوجود لديها يضم قوتين متضادتين هما (أهورمزدا- مبدأ الخير) ويرمز إلى قيم أخلاقية كالصدق والنور والحق والعدل والسَّلام والصفاء، وهو في صراع مع توأمه المشوه (أهريمن- مبدأ الشر) ويرمز إلى الكذب والظلمة والدمار والفساد والعنف ولكل منهما جنوده وأنصاره، والنصرة في النهاية وفق الفلسفة الزرادشتية ستكون لصالح إله الخير وأتباعه (أورسيل، ١٩٤٥، صفحة ٩٦).

إن هذا الصراع يمكن أن نربطه بالمبادئ والقيم الأخلاقية والروحانية أكثر من المبادئ المادية، فالثنائية هنا لا تضم صراع طبيعي فحسب، بلْ صراع بين النظام (آشا) والفوضى (دروج) والذي سينتهي لصالح النظام والخير. فتبرز قيمة الخير في التغلب والانتصار على الشر (مرحبا، ١٩٩٥، صفحة ٩٦). لقد تجسدت فكرة الثنائية في نص ياسنا ٤-٣٠:٣ بما ترجمته:" في البدء كان هناك روحان توأمان بدائيتان، هما الخير والشر، في الفكر، وفي القول، وفي العمل. عندما التقى الروحان التوأمان معاً أسسوا بالبداية الحياة واللاحياة" (Irani، ب.ت، صفحة ١٨). هكذا فقد صاغ زرادشت في فكره مبدأين متضادين وجعلهما في قلب الوجود: أهورمزدا ضده أهريمن، النور ضد الظلمة، الحياة ضد الموت، النظام ضد الفوضى، الصدق ضد الكذب، السَّلام مقابل الحرب وجميعها ثنائيات أخلاقية- روحانية وليست مادية فحسب. هذا ما أكده نص هايتي١٧:٣١ الآتي:" أيُّهما أعظم: نصيرُ آشا أم نصيرُ الكذب؟" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٦٧). ويأتي الردّ في ياسنا ٣:٥٠ بما ترجمته:" يا

مازدا، من كان مرشده في الحياة القوة الروحانية لكاشاترا وفوهومان، سيصل إلى آشا حتماً، مصدر الحقيقة. ومن ساهم في تقدم وتجديد هذا العالم الذي تهيمن عليه الفوضى والشرور، سينال بركات آشا، بفضل عطايا الإله" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٣٣).

عليه نجد أن مظاهر صراع الأضداد تظهر في العالم الفيزيقي في الحياة والموت، فالحياة من فعل أهورامزدا، أما الموت فهو من عمل أهريمن. كذلك الصحة من أنصار أهورامزدا و المرض من أنصار أهريمن، المخلوقات النافعة من جنود أهورامزدا مقابل المخلوقات الضارة والكوارث من جنود أهريمن. وجميعهم سيشاركون في سيناريو الصراع بين الخير والشر، ولنْ يتخلف الإنسان وعلى رأسه زرادشت عن اداء دوره الرئيسي في هذا الصراع تشير إلى ذلك مناجاة زرادشت لهورامزدا في هايتي١٦:٣٢:" أنت يا آهورمزدا يا من تملك القدرة على من يهددني بالخراب والهلاك اجعلني أقيّد الأشرار والكاذبين، وأبعدهم عن أنصاري [أقراني]" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٦٩). وهنا سيبرز دور الإنسان في هذا الصراع من خلال فعل الإرادة الحرّة وتحمل المسؤولية الأخلاقية.

المبحث الثالث: الإرادة الحرّة وأخلاقيات السَّلام العالمي

يمكننا أن نعدّ صراع الأضداد الكوني- الأخلاقي نتيجة من نتائج الإرادة الحرة؛ لكون كلاً من الروحين التوأمين قد اختارا طريقهما بنفسيهما بحرية مطلقة وهذا ما أكده زرادشت في الياسنا٣٠:٥ بما ترجمته:" من بين هذين الروحين التوأم، اختار روح الشر لنفسه ممارسة الأفعال الشريرة، في حين اختار روح الخير الذي يسكن السماوات الخالدة وممارسة الأفعال الحسنة. وهكذا فعلى كل من يؤمن إيماناً حقاً بأهورمزدا ويطلب رضاه عليه القيام بالأفعال الخيّرة" (Irani، ب.ت، صفحة ١٨). وهذا إن دلّ فيدل على تباين طبيعة كل منهما وقد أوضح زرادشت في هايتي ٤٥:٢ هذا التباين بقوله:" أتحدث عن الروحين في بداية الوجود، حين قالت روح الخير لروح الشر:((لا تتفق أبداً عقولنا، تعاليمنا، مشيئتنا، معتقداتنا، كلماتنا، أفعالنا، ولا نفوسنا أو أرواحنا))" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٨٠). عليه يمكن القول أنه ما أن جرى فعل الاختيار من قِبل الروحين لأحد الطريقين حتى بدأ الزمن بصراع الأضداد والذي وفق الفلسفة الزرادشتية سينتهي بانتصار الخير على الشر وتحقيق السَّلام العالمي (حسن، ١٩٩٩، صفحة ٢٧). والذي يمكن أن نعده الغاية الكامنة وراء مبدأ الصراع الزرادشتي. والسؤال هنا: هل للإنسان دور في تحقيق ذلك السَّلام؟ الأمر يقودنا للحديث عن نظرة الفلسفة الزرادشتية للإنسان وطبيعته .

- **الطبيعة البشرية والأرادة الحرّة:**

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 9
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

لقد خُلق الإنسان ممثلاً بالإنسان الأول (كيومرد) حاله حال باقي الموجودات من قِبل إله الخير (أهورمزدا)، وهذا يعني ووفق مفتاح الحكمة الزرادشتي الذي مفاده لا يأتي من الخير إلا الخير بأن كل مخلوقات أهورامزدا خير ومن ضمنها الإنسان، وأما الشر فهو ليس من أهورامزدا، بلْ من أهريمن فهو المسؤول الأول والأخير عن الشر الموجود في العالم (السواح، ٢٠١٦، صفحة ١٤)، إذ قام واعوانه بمهاجمة مخلوقات أهورمزدا فدنسوها بأفعالهم الشريرة وتمكن أهريمن بعد هجمات عديدة من قتل (كيومرد) الذي بقيت بذرته وفق الرؤية الزرادشتية محتفظة بها الأرض بباطنها وقد نمت بعد مرور أربعين سنة على هيئة شجرة خرج منها أول كائنين بشريين، وامتزج الخير بالشر وبرز دور الإنسان في الصراع بين هذين المبدأين (مظهر، ٢٠١٢، صفحة ٢٩٥).

إن الذي يعنينا هنا هو الإنسان الذي وفق التصور الزرادشتي لن يكون مخلوقاً غير مسؤول لا علاقة له بالصراع الكوني– الأخلاقي، بلْ بالعكس سيكون ركناً أساسياً في هذا الصراع وعليه سيتوقف تحرير أهورامزدا من محدودية المكان المرتبطة بوجود أهريمن وتحقيق السَّلام العالمي من خلال إرادته الحرّة الَّتي ستفرض عليه مسؤولية الاختيار الأخلاقي بين الخير والشر (حسن، ١٩٩٩، صفحة ٢٨). كما فعل زرادشت الذي اختار بإرادته مناصرة أهورمزدا مشيراً إلى ذلك في هايتي٤٣:١٦ بقوله:" أن زرادشت يا آهورا يختار لنفسه روحك الأقدس يا مازدا" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٦). وهذا حينما أراد أهريمن إغوائه لإبعاده عن طريق الصواب قائلاً له في الفنديداد الفصل التاسع عشر الآتي:" اكفر بدين مزدا الصالح، تنل النعمة الَّتي نالها ((ڤدغنا)) Vadhaghana سيد البلاد. أجاب اسپيتاما زرادشت: كلا، لنْ أكفر بدين مزدا الصالح ولو كان في ذلك تلفي وإزهاق روحي" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٧٥).

عليه ستلعب الإرادة الحرّة دوراً بارزاً في صراع الأضداد. فالإنسان الزرادشتي ليس مجرد قطعة شطرنج يحركه القدر كيفما يشاء، بلْ هو مخلوق يمتلك قبس إلهي وعقل واعي متنور وإرادة حرة، وقد أشار زرادشت إلى ذلك في ياسنا ٣٠:٢ بقوله لأتباعه:" اصغوا بآذانكم إلى الحقيقة المتسامية، وتفكروا فيها بعقلٍ مستنير، وليختار كل رجل وامرأة بإرادته الحرّة احد الطريقين: طريق الخير أو طريق الشر" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٥). هكذا فالإرادة الحرّة ستحتم على الإنسان إن يكون مسؤولاً عن أفعاله وسيتمكن بالتأمل والنظر العقلي من إن يدرك الطريق الصحيح فيختار بكل حرية أما أن يكون من أنصار إله الخير أم من جنود إله الشر. ولكي يتمكن الإنسان من أن يميز طريق الخير عن طريق الشر أكد زرادشت على التعليم والتثقيف، إذ

أن ابتعاد الإنسان عن الطريق الصحيح نحو طريق الشر يكون بسبب الجهل، فجاء في الفصل السابع من الفنديداد القول الآتي:" الناس القليلو الفطنة الذين لا يطلبون فطنة أعلى تُكبر (جائني) [شيطانة الشر والمرض] هذه الأمراض قدر الثلث على أوراكهم وعلى أيديهم وعلى شعرهم ذي الذوائب الثلاث" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٨٨). وكذلك ورد في ياسنا ٣٠:٦ الآتي: " بين هذين الروحين، لم يتمكن أتباع الشر بسبب الجهل والخداع من التفريق بشكل صحيح بين الخير والشر، فاختاروا الفكر الشرير، والعنف وبكلاهما اندفعوا نحو تدمير الحياة والعالم" (Irani، ب.ت، صفحة ١٨).

نستشف مما وردّ في أعلاه، إمكانية تغيير السلوك الخاطئ وفق الفلسفة الزرادشتية بناءاً على مفتاح الحكمة الزرادشتي إلى السلوك الجيد طالما أن الإنسان خير بطبعه. وهذه مهمة ستقع على عاتق الإنسان الزرادشتي الحقيقي من خلال المنهج الأخلاقي الزرادشتي والذي عُدَّ أداة اساسية في الصراع بين الخير والشر. فقول الحقيقة، التعليم ،العدل، زراعة الأرض وتربية الماشية، وحماية البيئة كلها سلوكيات أخلاقية نبيلة تساعد في نشر الخير وتسهم في تقدم العالم ورفاهيته وتحقيق السَّلام العالمي.

المنهج الأخلاقي لتحقيق السَّلام العالمي:

لقد عُدَّ وجود الإنسان وفق التصور الزرادشتي، مُحدد بهدف أخلاقي نبيل، وهو هدف مشترك بين الكائنات جميعاً كما أشرنا سابقاً، مع فرق أن تلك الكائنات تسير نحوه بالفطرة، أما الإنسان فقد خصه أهورمزدا بالعقل والإرادة ليسير بوعي نحو ذلك الهدف، فالكل وجدَّ لغاية وهدف واحد مشترك، ألا وهو القضاء على الشر ونشر الخير وحفظ النظام للوصول إلى الغاية المنشودة ونعني بها السَّلام العالمي (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٤). والفلسفة الزرادشتية لم تجعل مفهوم السَّلام يدور حول منع الحروب والتطاحن بين البشر، بلْ وسعته ليشمل التناغم الكلي بين الإنسان والوجود والطبيعة من خلال مبدأ (آشا) الذي يمثل القانون الأخلاقي الروحي الكوني والذي عن طريقه يطمح الإنسان بأفعاله الخيرّة من تحقيق التناغم والتوازن في الكون، إذ جاء القول في ياسنا ٢٩:١٠ ما ترجمته:" يا أهورمزدا وآشا، امنح زرادشت وأتباعه القوة والقدرة الروحية. يا فوهومان، امنح زرادشت القوة العقلية والفطنة والحكمة الكاملة، ليقود العالم إلى السَّلام والراحة" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٤). ويجب إن لا يغيب عن اذهاننا دور الإرادة الحرّة إذ يمكن أن نعدّها أساس تحقيق السَّلام، فمن خلالها سيتمكن الإنسان من اختيار سبيل الخير الذي سيساعد على تعزيز فكرة السَّلام العالمي، فكل عمل أخلاقي فاضل يمارسه الفرد بإرادته وبدون إجبار سينعكس على المجتمع والعالم، في حين سيؤدي ممارسة العمل

اللاأخلاقي الشرير إلى الفساد والفوضى والتعاسة واختلال التوازن في القانون الكوني، وبالتالي فقدان السَّلام العالمي، ولتجنب ذلك وضعت الفلسفة الزرادشتية منهجاً أخلاقياً روحياً كونياً يتمحور حول قاعدة جوهرية مفادها " الطبيعة لا تكون خيرة إلا إذا منعت صاحبها أن يفعل بغيره ما ليس خيراً له هو نفسه " (ديورانت، ب.ت، صفحة ٤٣٢). وهذا الكلام يدل على أهمية تربية وتهذيب النفس لتنعم بالسَّلام الداخلي – أن امكن التعبير – والذي ربما سيكون الخطوة الأولى لتحقيق السَّلام الخارجي في الوجود والكون. وما نعنيه بالسَّلام الداخلي بأنه ذاك السَّلام الذي يتحقق عندما يقوم الإنسان وفق إرادته الحرّة من اتباع طريق الخير بممارسة العمل الفاضل والتحلي بالصدق والتعبد الخالص. في حين نقصد بالسَّلام الخارجي هو ما بشرت به الفلسفة الزرادشتية أتباعها حينما اخبرتهم بإن نهاية المعركة مع قوى الشر ستكون لصالح قوى الخير. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف والتحرر النهائي من الشر وتغيير العالم وتحقيق السَّلام للإنسانية جمعاء، لابد من تطبيق المنهج الأخلاقي الزرادشتي المتضمن مجموعة من القيم الأخلاقية والذي يمكن أن نطلق عليه اسم (الثالوث الأخلاقي)؛ لكونه يتضمن ثلاث قيم أساسية تتمثل بالآتي:

-الفكر الخيّر (منش).

-القول الخيّر (گويش) .

-العمل الخيّر (كنش) (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ١٢). وقد جاء القول في هايتي،٢:٣٥ ما يؤكد ذلك بالآتي:" الأفكار الخيّرة، الأفعال الخيّرة والكلمات الخيّرة، الآن وإلى الأبد، الَّتي حققت والَّتي ستتحقق نحن نزرعها وننشرها لأننا الصالحين" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٦٧).

يمكننا القول إن امتلاك المرء للفكر الخيّر يسهم بدور فعّال في تخليص عقله من أمراض التعصب والتحيز والانغلاق الفكري باستبداله بالتفكير المتنور والبصيرة الروحية والمحبة غير المشروطة، في حين يلعب القول الخير دوراً بارزاً في القضاء على كل جدل عقيم من خلال لغة حوار واضحة ومفهومة خالية من التجريح قائمة على التسامح و نسيان الماضي والرأفة بالأخرين، وهناك العمل الخير الذي سيقضي على الاختلافات والخلافات ويمنع التطاحن والتنازع بين البشر والولايات والدول. وقد اتبع الحاكم الفارسي دارا (٥٢٢-٤٨٦ق.م) هذا الثالوث في ادارته للبلاد ومعاملته مع الأعداء فلم يستعمل العنف وجنح إلى طرق السياسة الحكيمة الحازمة في إدارة الولايات التابعة لبلاده كما سمح لتلك الولايات بالحفاظ على كيانها الثقافي من لغة وغيرها من النظم الخاصة بها (باقر، ٢٠١١، صفحة ٤٥٤،٤٥٢).

وعليه عدّت الزرادشتية هذا الثالوث الأخلاقي ركيزة اساسية لتحقيق السَّلام العالمي بشكل تدريجي منطلقاً من الفرد وتحقيق السَّلام الداخلي أولاً، مروراً إلى المجتمع والدولة لتحقيق السَّلام الخارجي وصولاً إلى الكون لغرض تحقيق السَّلام العالمي المتمثل بالعيش على وفاق مع النظام والحقيقة (آشا) وإبادة الفوضى والشر (دروج).

وتجدر الإشارة بأن بعض الباحثين يرون أن هذا الثالوث الأخلاقي المتعلق بالإنسان يقابله ثالوث فيزيقي ترعاه آشا ويتمثل بالنجوم (الفكر الخيّر) والقمر (القول الخيّر) والشمس الَّتي تقابل (الفعل الخيّر) (صعب، ٢٠٠٥، صفحة ١١٣). والإنسان الزرادشتي سينال الطهارة ويكون من أتباع أهورمزدا الحقيقيين إذا اقتدى بالثالوث هذا ليحقق السَّلام الداخلي والخارجي له ولمجتمعه والعالم، وردّ بالفصل الخامس من الفنديداد القول الآتي:" الطهارة الَّتي في ديانة مزدا، يا زرادشت، هي الطهارة الَّتي يتطهر بها الإنسان بأفكار صالحة وأقوال صالحة وأعمال صالحة" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٦٣).

إن هذا الثالوث يطلب من الزرادشتي تربية ذاته أولاً على قيم ومبادئ أخلاقية تتمثل بطهارة ونقاء القلب والفكر والنية فيُحسن الظن بالأخر ولا يفكر سوى بالخير. كما أن الصدق في كل ما يقوله المرء سيقرب النفوس ويولد المحبة والألفة والتفاهم بين البشر. وفعل الخير تجاه الموجودات ومن ضمنها الإنسان الذي سيلعب دور في تحقيق التناغم مع الأخرين سواء على المستوى الاجتماعي أو العالمي والكوني. جاء في هايتي٣:٣٣ القول الآتي:" الذي يكون طيباً مع الإنسان الصالح، سِواء كان نبيلاً، أو فرداً من القبيلة أو من الجماعة، أو أنه يعتني بالماشية بكد واجتهاد، سيكون في الآخرة في مرعى الحق والعقل الخيّر" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٠). والسؤال هنا:- هل الزرادشتي الحقيقي الذي يسعى لتحقيق السَّلام العالمي ينبغي عليه التعامل مع امثاله الطيبين، أم ينبغي مساعدة كل من حاد عن المنهج الأخلاقي الصحيح من البشر؟ وتكمن الإجابة بالتذكير بأهم تجديد جاء به زرادشت وهو اعتبار أهورامزدا إلها كونياً عالمياً لا فارسياً محلياً وهذا يساعد في الوصول إلى اجابة واضحة عن السؤال بالقول ووفق الفلسفة الزرادشتية بأن على الزرادشتي الحقيقي التعامل مع كل البشر ومساعدة الإنسان المخطئ أياً كان لونه أو دينه أو عرقه إلى أن يعرف المنهج الصحيح الذي يؤدي به إلى نشر الخير وتحقيق السَّلام وهذا إن دلّ فيدل على طبيعة السَّلام في الفلسفة الزرادشتية إذ يمكن أن نقول أنه ذو طابع تطبيقي يتمثل بالسلوك الأخلاقي اليومي وليس مجرد نظرية أخلاقية محضة. والدليل على ذلك الواجبات الثلاث الَّتي فرضتها الزرادشتية على اتباعها الحقيقين والَّتي تمثلت بتحويل العدو صديقاً، والخبيث طيباً، والجاهل متعلماً (محمود، ١٩٩٩، صفحة ٤١).

وهكذا نجد أن الفلسفة الزرادشتية في منهجها الأخلاقي كانت ذات نظرة بعيدة فهي لم تكتفِ بمجرد التطبيق العملي المحدود بالمجتمع الفارسي، بلْ كانت تنظر إلى هدف أسمى وهو اصلاح وتغيير العالم الفاسد وتخليصه من الفوضى عن طريق عمل الخير ونبذ الشر بفعل المعرفة من قِبل الإنسان وصولاً للتناغم مع الكون والتماهي معه والعيش على وفاق مع آشا الذي سيؤدي إلى تحقيق السَّلام العالمي (حسن، ١٩٩٩، صفحة ٢٤). إذ جاء في هايتي ٣٠:٩القول الآتي:" عسى أن نكون نحن هؤلاء الذين يجددون هذا الوجود، فليقّونا آهورامازدا، فلتقّونا القداسة. والذي يكون حكيماً هنا، ستكون له إقامة دائمةٌ هناك، حيث تعيش الحكمة" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٦٤).

وبهذا ووفق الفلسفة الزرادشتية سيساهم الإنسان بدور فعالّ مع الآلهة في تحقيق الهدف الأخلاقي الكوني المتمثل بالتغلب تدريجياً على الفوضى والشرور واستعادة الوجود والكون لطبيعته المثالية الأصلية المتمثلة بحياة السَّلام والطمأنينة والخير (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٦).

لقد أشرنا عن أهمية الثالوث الأخلاقي المتمثل بالفكر الخير، القول الخير والعمل الخير؛ لكونه المنهج الذي من خلال تطبيقه عملياً في مجالات الحياة المختلفة يتحقق السَّلام العالمي وفق الرؤية الزرادشتية. وعليه لابد من معرفة ما على المرء القيام به ليصل إلى هذا الثالوث الأخلاقي الزرادشتي؟

لقد حددت الزرادشتية مجموعة من القيم الأخلاقية الَّتي لو اتصف بها المرء ستوصله إلى التمتع بالفكر الخيّر والقول الخير والفعل الخير وقد تمثلت تلك الأخلاقيات بالآتي:-

-**التأمل العميق:** الفلسفة الزرادشتية تركز على أن التغيير والتجديد يأتي من الداخل أولاً، وهذا الأمر يتطلب من المرء ممارسة فعل المعرفة من خلال التأمل والتفكّر العميقين وهذا بالضبط ما فعله زرادشت في بحثه عن حقيقة الشر الموجود في العالم باعتزاله وتأمله وتدبره للوجود ومظاهره فقال في ياسنا ٤٣:٤ مخاطباً أهورمزدا ما ترجمته:" لقد عرفتك إلهاً مقدساً، يا رب الحياة والحكمة، عندما دخل فوهومان فيّ، تنور فؤادي بالحقيقة والمعرفة، عندها ادركت أن التأمل الصامت العميق هو خير سبيل لاكتساب المعرفة والبصيرة الروحانية" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ١٩). وهذا ما حصل لأبن عم زرادشت الذي كان أول من آمن به، إذ قيل في هايتي ٥١:١٩:" هذا الإنسان مع ماديا ماها سبيتاما قد أقنع نفسه بنفسه.." (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٩٥).

عليه يمكن أن نعدّ التأمل الذي ذكره زرادشت في ترانيمه من أهم الوسائل للتمتع بالفكر الخيرّ ونبذ الفكر الشرير ومحاربته وإحلال السَّلام الداخلي.

-فعل المحبة ونبذ التعصب: يلي التأمل الزرادشتي فعل المحبة فبعد اكتشاف الحقيقة يأتي دور المحبة لتخليص البشرية من كل الشرور الَّتي سببت لها الألم والحزن والفوضى للوصول إلى عالم مثالي يعمه السَّلام والأمن والاستقرار. ولقد حملت الزرادشتية الإنسان مسؤولية ليست بالسهلة عندما فرضت عليه الواجبات الثلاث الَّتي جرى ذكرها سابقاً، فمسألة أن احول العدو إلى صديق والخبيث طيب والجاهل عالِم مسألة ليست باليسيرة، تحتاج إلى تدريب ومرّان وتهذيب وتربية للذات على فعل المحبة الغير مشروط لكل البشر بدون تحيز أو تعصب. وقد يتسأل البعض كيف أُحب من آذاني وعاداني واساء الي؟ ونجيب: نعمْ، إنه امر صعب وليس بالشيء السهل ويحتاج إلى النقاء والصفاء والإدراك الواعي بالحقيقة الَّتي عندما وصل لها زرادشت قرر أن ينزل للناس جميعاً ليعلمهم إياها والَّتي مفادها بأن البشرية كلها خير بالفطرة وما الشر إلا شيء عارض حصل بسبب الجهل، هذا من جهة، هناك ايضاً أمر آخر لابد من ذكره وهو أن زرادشت بسبب محبته الخالصة لـ أهورامزدا قرر أن لا يحتفظ بالحقيقة لنفسه فقط، بلْ عليه نشرها وتعليمها للبشر جميعاً.

هكذا انعكست المحبة للذات الإلهية في قلب زرادشت تجاه العالم اجمع وفاضت كما تفيض اشعة الشمس لتنير الكون كله بدون استثناء للبشرية جمعاء، إذ جاء القول في ياسنا٣٤:٢ ما ترجمته:" من يواجه الإنسان الشرير بفكره الخيرّ أو قوله أو بعمله، من يرُشد البشر إلى الخير، فإنه بالتأكيد يحقق إرادة الإله من خلال حبه لأهورامزدا" (Irani، ب.ت، صفحة ٢٥). ووفق هاتين المعادلتين لابد من ممارسة فعل المحبة دون النظر للعوارض من الأمور كالعداوة والبغض والجهل؛ لكون الإنسان من مخلوقات إله الخير، وما يأتي من خير فهو خير بالطبع، وما يرتكبه من شر أو أذى فهو بسبب الجهل وما أن يجري تعليم الجاهل سيتمكن من التمييز بين الصح والخطأ وسوف يمارس الخير وينبذ الشر، فقيل في الياسنا ٣٤:١٠ على لسان زرادشت: "إن الحكماء، إذ يدركون أن حب الله والإيمان به هما مصدران للحقيقة، سيُعلمون الضالين والأشرار طريق تهذيب عقولهم بالأفكار الخيرّة، والقيام بالأعمال الخيرّة، ومحبة الآخرين، وفي نهاية المطاف ومن خلال معرفة الحق، سيتوجه إليك الأشرار جميعاً. يا أهورمزدا" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ١٦).

لقد حذرت الزرادشتية أتباعها بأن أي تهاون في تحقيق واجباتهم سيعرضهم للعقاب، فجاء التحذير بالشكل الآتي:" يُحذَّر المؤمن بأن من واجبه الخاص أن يراعى أن أصدقاءه الضالين

يجب أن تتاح لهم كل فرصة للهداية، فلو حدث مثلاً أن شخصاً شريراً شكا يوم الحساب من أن صديقه الصالح لم يدله على الأعمال الصالحة الَّتي مارسها هو نفسه فسيتلقى الصديق الصالح ما يستحقه من عقاب" (أورسيل، ١٩٤٥، صفحة ١٦٠).

إن تأكيد الفلسفة الأخلاقية الزرادشتية على المحبة، إن دلّ فيدل على أهمية الابتعاد عن العنف والغضب والكراهية ، فجاء القول في ياسنا٤٨:٧ على لسان زرادشت:" أبعدوا الكراهية والغضب عنكم، لا تدعوا شيئاً يغريكم للعنف، تخلقوا بالمحبة والفكر الخيّر. المعلمون الحكماء المتمسكين بالحق، سيقودون اتباع أهورمزدا إلى الفردوس، حيث يقطن الصالحون" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٢٩).كما وردَّ في أحد النصوص البهلوية طبيعة العمل الأخلاقي الذي ينبغي حيازته وممارسته فقيل:" ما يجب امتلاكه مع شخص ما هو السَّلام والحب وما لا يجب امتلاكه مع أي شخص كان هو الانتقام والعداء" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٨٠).

-**التشجيع على التعليم**: هنا وبعد تهذيب الزرادشتي لذاته على فعل المحبة غير المشروط وللتغلب على الشر وتحقيق السَّلام لابد من الحث على التعليم والتثقيف بهدف تحويل الجاهل إلى عالِم. فوفق الفلسفة الزرادشتية وكما اشرنا سابقاً بأن الإنسان خير بالطبع ولكن بسبب الجهل يحيد عن المنهج الصحيح وهذا يعني أنه يحتاج إلى من يُنير عقله وقلبه بالمعرفة الحقة ليميز بين الخير والشر. وهنا يأتي دور المُعلم الحكيم المتنور والواعي. إذ جاء في ياسنا ٢-٣١:١ حديث زرادشت لطلاب المعرفة بما ترجمته:" يا من ترغبون بالتعلم أعلن هذه الرسالة لكم.. لأنكم لا تدركون الحقيقة الأبدية، ولم تعرفوا الحياة الأفضل، جئت اليكم جميعاً لأرشدكم إلى الخيار الصحيح بين الجانبين [جانب الخير وجانب الشر] لكي نتمكن من العيش وفقاً للحقيقة" (Irani، ب.ت، صفحة ٢٠). كما جاء في هايتي ٣٠:١١ خطاب زرادشت للناس بقوله:" إذا فهمتم أيها البشر، الأوامر الَّتي أعطاها الرب الحكيم، المعاناة وطول العذاب للشرير، والصحة والخلاص للتقي.. فسوف يتجه الكل بعد هذا نحو الأفضل" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٦٤).

هكذا شجعت الزرادشتية على ضرورة التعليم وجعلته واجباً مقدساً ودعت إلى توفير كل الوسائل الَّتي تساعد على نيله وأوضحت بأنه متاح لكل الناس سواء كانوا رجالاً أم نساءً، عزاباً أم مرتبطين، خيرين أم اشرار، واكدوا أن افضل اشكال الخير هي في مساعدة من يفتقر إلى التعليم، فجاء القول في الفصل الرابع من الفنديداد على لسان زرادشت القول الآتي :" إذا كانوا إخوة أو أصدقاء من دين واحد وأتى أحدهم الآخر يطلب منه دراهم أو امرأة أو علماً، فمن طلب دراهم

فليعط الدراهم، ومن طلب امرأة فليتزوج بها، ومن طلب العلم فليعلم الكلام المقدس" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٥٧). وقد بجلت الزرادشتية الحكماء والمعلمين فجاء في هايتي ٤٣:٣ الدعاء الآتي:" عسى أن يبلغ ما هو أفضل من الخير، ذلك الذي يعلّمنا الطرق المستقيمة للقداسة في هذه الحياة الدنيوية وفي تلك الحياة العقلية، الطرق الحقة، الَّتي تؤدي إلى العالم الذي يسكنه آهورامازدا المنقذ والحكيم، المقدس والسامي" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٤).

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤالٌ مهم: بما أن الفلسفة الزرادشتية اكدت على اهمية التأمل والتثقيف والتعليم فهل دعت إلى الاهتمام بالجسد أم كالهنود فضلت محاربة رغباته وشهواته بهدف الوصول إلى الحقيقة؟ ونجيب بالقول: بأن زرادشت دعا إلى فضيلة الاعتدال والتوسط والَّتي وجدت عند أرسطو فيما بعد والَّتي تمثلت بالآتي:

-**أخلاق الاعتدال والتوسط:** لقد جرى تشبيه الزرادشتية من قِبل أهورمزدا بشجرة عظيمة ذات جذع واحد ولها فرعان كبيران، وثلاثة أغصان... فالجذع الواحد هو التوسط، والفرعان الكبيران هما العمل والرضا، والأغصان الثلاثة هي الفكر الخيرّ والقول الخيرّ والعمل الخيرّ... (يوسفي، ٢٠١٢، صفحة ٦٣). فجاء القول في ياسنا ٤٣:١٥:" يا أهورمزدا، لقد آمنت بأنك أنت العناية الإلهية المتسامية، عندما ادركت بالفكر الخيّر، أن أفضل ما نملك هو العقل المتأمل الراضي" (Irani، ب.ت، صفحة ٣٢).

ووفق فضيلة الاعتدال والتوسط دعت الزرادشتية أتباعها إلى تهذيب النفس وتربيتها روحانياً وجسدياً من خلال فعل التعقل والتأمل، وفعل التعقل يعتمد على صحة الجسد، لذلك حرم زرادشت الصيام؛ لكونه يسبب التعب ويقلل النشاط ويحد من الحركة، ولا سيما لدى الفلاح (الموحي، ٢٠١٦، صفحة ٤٥). وحرم اعتزال العالم وتعذيب الجسد، وعدّ الزهد خطيئة كبيرة، كما حذر في الوقت ذاته من الإفراط في كسب الملذات والشهوات (السواح، ٢٠١٦، صفحة ١٥). فجاء في الفنديداد الفصل الثالث من باب التأكيد على اهمية العناية بالجسد ورعايته القول الآتي: "من لا يأكل لا تكون له قوة للقيام بواجبات الدين بحماسة ولا للحراثة بحماسة ولا للتوليد بحماسة. بالأكل يعيش جميع عالم الأجساد، فاذا لم يأكل هلك" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٤٧).

نستشف من النص أعلاه على الإنسان الاهتمام بسلامته الجسدية والنفسية، وكذلك رعاية اخوانه في الإنسانية؛ لكونهم كما اشرنا سابقاً يمثلون مخلوقات أهورمزدا أيضاً (Boyce، ١٩٧٩، صفحة ٢٤). فجاء القول في ياسنا ٤٣:١ بما ترجمته:" لقد أكد أهورمزدا، خالق الكون كله، أن

الحظ السعيد سيكون من نصيب أولئك الذين يُسعدون الآخرين، يا إلهي لأبقى معتدلاً ثابتاً على الحق، امنحني قوة الجسد والروح" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ١٧). ونحن نعلم أن زرادشت نفسه استعان بالتعليم والعلاج النفسي والجسدي لا القوة والبطش والسيف لتنوير البشر بهدف الوصول بهم إلى السَّلام العالمي (يوسفي، ٢٠١٢، صفحة ٩١). فجاء في ياسنا ٣١:١٨ ما ترجمته:" لا يستمع أحد إلى أقوال الكذابين والأشرار، فهؤلاء سيتسببون بدمار وخراب البيت والقرية والمدينة. وعليه، فمن واجبنا التصدي لهؤلاء ومقاومتهم بأسلحة روحانية، تتمثل بالنقاء والصلاح" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٩).

عليه اصبح من واجب الزرادشتي محاربة الإسراف في فعل اي شيء بفضيلة الاعتدال والوسط حتى عندما يأكل عليه الاعتدال وعدم الإسراف في الطعام للحفاظ على الصحة (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، الصفحات ٧٥٦-٧٥٧). وعدّ العالم مكاناً فيه الكثير من الاشياء الطيبة والممتعة وعلى الإنسان أن يقوم بفعل أفضل الأشياء على هذه الأرض (زينر، ٢٠١٠، صفحة ٤٦). فورد في هايتي ٣٣:١٠ تقسيم لمتع الحياة باعتدال بالشكل الآتي:" كل طيبات الحياة، الَّتي تملكها، تلك الَّتي وجدت، والَّتي توجد والَّتي ستكون يا مازدا ستقسمها حسب مشيتك الخيرة من خلال ڤاهومانو، خشاترا وآشا" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧١). وقد كان من الأفعال والأعمال الخيرّة الَّتي شجع عليها زرادشت هي زراعة الأرض وتربية الماشية (العباداني، ٢٠١١، صفحة ٥٢). فجاء في الفصل الثالث من الفنديداد عندما سأل زرادشت إلهه عن الرجل الذي يُبهج ويُفرح الأرض فقيل له:" هو الذي يزرع أكثر ما يمكن من الحنطة والعشب والأشجار المثمرة... من يزرع القمح يزرع الخير... لما خلق القمح اضطربت الديوات [الأرواح الشريرة]، ولما كبر هلعت قلوب الديوات، ولما عقد بكت الديوات، ولما سنبل هربت الديوات. في البيت الذي ينعدم فيه القمح تسكن الديوات، لكن اذا أتى القمح بكثرة يكون كأنه حديد محمي يفتل في أفواهها" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، الصفحات ٤٥-٤٦). كذلك جاء عن تربية الماشية في هايتي٤:٥٨ النص الآتي:" راعي الماشية هو مناصر صالح، هو الأفضل.. هو صالح واختار الموجودات الصالحة" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ١٨٦).

-**الصدق:** لقد اعتبرت الفلسفة الزرادشتية الصدق ركيزة أخلاقية اساسية؛ لكونه؛ صفة من صفات إله الخير (أهورمزدا)، مقابل الكذب الذي هو صورة من صور إله الشر (أهريمن)، ومن أجل تغيير العالم وتحقيق السَّلام العالمي لابد من محاربة الكذب بالتخلق بالصدق في الفكر والقول

والفعل (عثمان، ب.ت، صفحة ٢٤). وقد قيل في ياسنا ٤٦:٦ ما ترجمته:" من لا يساعد على تحويل الخبيث إلى طيب والكاذب إلى صادق سيكون مع الأشرار والكاذبين في الدار الآخرة، لأن الشرير هو من ينظر إلى الشر بتسامح " (Irani، ب.ت، صفحة ٣٨).

لقد رأى بعض الباحثين أن الزرادشتية، فلسفة تدعو للتقدم والصدق على أمل إحداث التجديد والتغيير والوصول إلى العيش على وفاق مع الحقيقة [آشا]، وبالتالي تحقيق السَّلام العالمي (يوسفي، ٢٠١٢، صفحة ٧٩). لذلك فقد أوجبت على الزرادشتي التخلق بالصدق فقيل في هايتي ٣١:١٩ الآتي:" يجب أن نصغي للذي عرف آشا، أن نصغي إلى شافي الحياة الحكيم يا آهورا، ذاك الذي يمكنه أن يضبط صدق كلماته" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٦٧). ومثلما طالبت الزرادشتية من أتباعها التخلق بالصدق فقد أوضحت مكافأة من يلتزم به، فجاء الدعاء في ياسنا٢٨:٧ على لسان زرادشت بما ترجمته:" يا آشا، امنحينا بركة الفكر الخيّر، يا أماريتي، فيستاسباس، حقق كل أمنيات أتباعي، يا مازدا، يا رب الحكمة، هبْ أتباعك الصادقين القوة لكي يتمكنوا من نشر تعاليمك المقدسة وتعليمها للعالم أجمع " (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٢).

عليه فقد اعطت الفلسفة الزرادشتية الأخلاقية للصدق مكانة مهمة، فالصدق كما يرى البعض هو السعادة في العقل، وأن العقل البشري يصل للكمال بفعل المعرفة ونيل العلم من أجل سعادة ورقي العالم (حسن، ١٩٩٩، صفحة ٢٤). قيل في هايتي٣٣:٥ على لسان زرادشت ما نصه:" أنا الذي أستحضر قانونك كأعظم الأشياء في الكمال، وعندما أنال الحياة المديدة سيكون الجزاء: سيادة العقل الخيّر، وطرق آشا المستقيمة، حيث يسكن آهورامازدا" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٠).

-**الإحسان والمساعدة:** يُعدّ الإحسان من الوصايا الزرادشتية الرئيسية والقيم الأخلاقية الايجابية الَّتي أوصى زرادشت البشر بضرورة تربية الذات عليها وقد زخرت الأفستا بذكرها في ترانيمها، فجاء في ياسنا٣٤:٥ ما ترجمته: "يا مازدا، ما أعظم قدرتك! إنني أتوق بقوة لخدمة الإنسانية بالأعمال الخيّرة. أتمنى أن اتحد معك بالحق، والعقل الخيّر، لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وحماية عبادك الصالحين" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ١٥). وجاء في نص بهلوي سؤال أحد الحكماء لروح العقل عن ما هو احسن واكبر اعمال الخير فقال له: إن أحد اكبر وافضل الأعمال هو الإحسان تجاه الإنسان الطيب (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٦١).

عليه عُدّ فعل الإحسان أحد الأخلاقيات الَّتي ستوصل المرء إلى تحقيق السَّلام الخارجي من خلال المساعدة ومدّ يد العون لمن يحتاجها وقد أشار إلى ذلك زرادشت عندما طُرد من بلدته فشعر بالضعف وناجى إلهه بقوله في ياسنا٤٦:٢ بما ترجمته:" أعرف يا مازدا لماذا فشلت في تحقيق امنيتي. السبب أنه ليس عندي سوى عدد قليل من الماشية ونفر قليل من الأتباع. أنظر إلي يا إلهي، إني أتوجه إليك بطلبي، مثل الصديق الذي يساند صديقه هبني مساعدتك الكريمة. من خلال الحقيقة[آشا]، أمنحني الفكر الخيّر" (Irani، ب.ت، صفحة ٣٨).

يشير النص أعلاه أن المساعدة ضرورية من قِبل القوى العليا من جهة، ومن قِبل المؤيدين والأتباع من الجهة الأخرى لدعم عملية السَّلام الخارجي، فالمساعدة العليا تتمثل بستة من القوى الميتافيزيقية تدعى "الامشا سثند" تساهم في مساعدة أنصار الخير في جذب أكبر عدد من المؤيدين والتابعين والتصدي للأشرار بالثالوث الأخلاقي (العباداني، ٢٠١١، الصفحات ٤٣-٤٤)، أما المساعدة الأرضية فتتمثل بعدة أمور منها أولاً: مساعدة الأخرين وارشادهم من خلال المنهج الأخلاقي الزرادشتي إلى الطريق الصحيح المتمثل بالعيش على وفاق مع آشا وتحقيق السَّلام العالمي، فورد في ياسنا٥٣:٢ قول زرادشت:" فليتقدم كل من الملك فيشتاسبا، وفراشاوشترا، واتباع زرادشت سبيتاما بأفكارهم وأقوالهم وأفعالهم الخيّرة وليعلموا الجميع أن يلتزموا الطريق الصحيح [طريق آشا] الذي أعلنه المعلمون الروحانيون ورسمه أهورا" (Irani، ب.ت، صفحة ٥٢). وثانياً: مساعدة الفقراء والمحتاجين، فورّد في الفنديداد الفصل٨ الآتي:" من ساعد الفقير يجعل أهورا يحكم" (زرادشت، الفنديداد، ٢٠١١، صفحة ٩٤).

-**العمل وبذل الجهد:** أشرنا سابقاً كيف أكدت الزرادشتية على التثقيف والعمران والتمدن كأدوات يجب على المرء الاستعانة بها لغرض الوصول إلى العيش على وفاق مع آشا بسلام ووئام، وكلنا يعلم أن المدنية والحضارة تحتاج إلى العمل وبذل الجهد وهي وفق الفلسفة الزرادشتية تعدّ من أفعال الخير (أهورمزدا) مقابل الكسل والتقاعس والهمجية الَّتي تعد من أفعال الشر (أهريمن)، فجاء القول في أحد النصوص البهلوية الآتي:" كن ممجداً وحكيماً، عشْ من كدّك، وخصص جزءاً من كدّك للآلهة والصالحين، حيث أن مثل هذا السلوك يشكل أفضل مأثرة من بين التزاماتك.... فكما يقال: إن من يعيش من غير كدّه شبيه لمن يحمل بين يديه رؤوساً بشرية ويأكل الدماغ البشري". وجاء في مكان آخر وصف للإنسان المتقاعس عن العمل بالآتي: "وأما الكسول فهو أكثر الناس لا شرفاً، حيث معروف في الأفِستا أن الخالق اهورمازدا لم يخلق الحبوب للشخص الكسول، ولهذا السبب لا يجوز إعطاء الكسول أي هبة أو صدقة، كما لا يجوز أن يعطى له المأوى ولا تجوز استضافته، وذلك لأن الطعام الذي يتناوله الكسول، يتناوله

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٩

بلا شرف ولا استحقاق" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٧٥٦،٧٧١).

لقد اصبح العمل وبذل الجهد في الفلسفة الزرادشتية ركناً اساسياً من أركان الثالوث الأخلاقي، إذ كيف يتمكن الزرادشتي من إداء واجباته بإحداث التغيير والتجديد في المجتمع والعالم بدون العمل وبذل الجهد فجاء في ياسنا ٤٨:٥ ما ترجمته:" علينا العمل وبذل الجهد من أجل ازدهار الأرض وتقدم العالم، مُرشدين جميع الناس إلى النور والحقيقة" (Azargoshasb، ب.ت، صفحة ٢٩). وقد زخرت الأفستا بالمناجاة لنيل النشاط والقوة فجاء في هايتي ٧١:١٧ الدعاء الآتي:" نقدم القرابين إلى الرجل النشيط، إلى الرجل ذو النية الحسنة لأجل إعاقة الظلام وضياع القوة والحياة وبسبب الذهول" (زرادشت، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ٢٠٠٨، صفحة ٢٠٧).

نستنتج من كل ذلك، أن السَّلام الخارجي لا يتحقق وفق الفلسفة الزرادشتية إلا بعد تحقيق السَّلام الداخلي للفرد فالتأمل العميق، فعل المحبة الغير مشروط، الصدق والاعتدال، العمل وبذل الجهد، التعاون ومساعدة الأخرين سيساعد على تأسيس مجتمع مسالم خالي من الفوضى والعنف والكراهية وسينعكس ذلك على الدولة، فالعالم بهدف الوصول إلى التناغم مع بعضنا البعض ومع العالم والكون من خلال العيش على وفاق مع آشا وفق الفلسفة الزرادشتية سعياً لتحقيق السَّلام العالمي.

الخاتمة والاستنتاجات:

يمكن أن ننظر إلى الفلسفة الزرادشتية بأنها فلسفة العمل الأخلاقي الذي خص الإنسان به، إذ سيتحمل العبء الأكبر لتحقيق غاية الزرادشتية وهو الوصول للسلام العالمي وتجديد العالم من خلال فكرة انتصار الخير على الشر ومحوه في نهاية الصراع الوجودي القائم بينهما. وعليه هناك جملة من الاستنتاجات الَّتي توصلنا لها وهي كالآتي:

- فكرة السَّلام العالمي لم تكن في الفلسفة الزرادشتية فكرة واضحة بلْ ضمنية مثلها الثالوث الأخلاقي: الفكر الخيرّ، القول الخيرّ، والفعل الخيرّ.
- الإنسان في الفلسفة الزرادشتية لم يكن مجرد عبد خاضع للقدر والمصير، بلْ لعب دوراً مهماً في تحقيق السَّلام العالمي من خلال فعل الإرادة الحرّة بممارسة الأعمال النافعة والمفيدة ومحاربة الشر.
- التأكيد على اهمية التفكّر والتأمل لمعرفة مفتاح الحكمة الذي ستؤدي معرفته إلى إرشاد الإنسان لاختيار طريق الخير ونبذ طريق الشر.

- الإنسان لا يعمل على تخليص نفسه فحسب، بلْ إنقاذ إله الخير (أهورمزدا) من سجنه في العالم الفيزيقي بسبب وجود إله الشر (أهريمن). فبمجرد تحقيق السَّلام العالمي والقضاء على الشر وتعميم فكرة الخير سيتحرر أهورمزدا ويعود لمكانه الأصلي (العالم الميتافيزيقي).
- السَّلام العالمي يبدأ بالفرد أولاً، بالتهذيب الأخلاقي الداخلي، فالعائلة، فالمجتمع، فالعالم. بمعنى السَّلام العالمي الخارجي لابد أن يسبقه السَّلام الداخلي الفردي.
- يتمثل السَّلام الداخلي بتحقيق الانسجام والتوازن النفسي من خلال التصالح مع الذات وتخليقها بالمحبة الغير مشروطة الَّتي ستساعد على جذب الآخرين وبالتالي تغيير سلوكياتهم السيئة إلى جيدة، أما السَّلام الخارجي فيتمثل بالتعامل الطيب مع الآخرين لبناء مجتمع مستقر ومتوازن من جهة، والعيش على وفاق مع القانون الطبيعي (آشا) والانسجام معه.
- هكذا فقد عدت الفلسفة الزرادشتية السَّلام العالمي غاية كونية وربطت شرط تحقيقه والوصول له بإدراك الإنسان ووعيه وربطته بإرادته الحرّة لعمل الخير وتجنب الشر.
- وأخيرا، يمكن أن نعتبر الفلسفة الزرادشتية في رؤيتها للكون والعالم ولمشكلة الصراع الكوني الأخلاقي بين الخير والشر فلسفة متفائلة؛ لكونها اكدت بأن في نهاية المطاف سينتصر اتباع الخير على اتباع الشر ويسود الكون والعالم النظام والانسجام ويتحقق السَّلام العالمي آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع

Irani,D. J . (ب.ت). *The Gathas – The Hymns of Zarathuthra*.

Boyce,Mary .(١٩٧٩) *Zoroastrians- Their Religious Beliefs and Practices*. London, Keganpaul & Boston and Henley: Routledge.

Azargoshasb,Mobed Firouz .(ب.ت) *Translation of Gathas - The Songs of Zarathushtra*

صعب، أديب. (٢٠٠٥). *الأديان الحية نشوؤها وتطورها*. بيروت–لبنان: دار النهار.

يحيى، اسامة عدنان. (٢٠١٦). *الديانة الزرادشتية: ملاحظات واراء*. العراق–بغداد: اشوربانيبال للكتاب.

أحمد، الشفيع الماحي. (٢٠٠١). *زرادشت والزرادشتية*. الكويت: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية– الحولية الحادية والعشرون.

أورسيل، بول ماسون. (١٩٤٥). *الفلسفة في الشرق*. مصر: دار المعارف.

بارندر، جفري. (١٩٩٦). *المعتقدات الدينية لدى الشعوب*. (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع.

يوسفي، جمشيد. (٢٠١٢). *الزرادشتية– الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الأفستا*. بيروت– لبنان، الجزاءر: مكتبة زيز الحقوقية والأدبية، دار الوسام للنشر والتوزيع.

كوبر، جي سي. (٢٠١٤). *الموسوعة المصورة للرموز التقليدية*. (مصطفى محمود، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

محمود، حربي عباس عطيتو. (١٩٩٩). *من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية*. مصر– الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

عبود، حنا. (٢٠١٨). *موسوعة الأساطير العالمية*. اللاذقية–سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

زينر، ر س. (٢٠١٠). *موسوعة الأديان الحية،ج٢* (المجلد الأولى). (عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
زرادشت. (٢٠٠٨). *أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)* (المجلد الثانية). (خليل عبد الرحمن، المحرر) سورية– دمشق: روافد للثقافة والفنون.
زرادشت. (٢٠١١). *الفنديداد* (المجلد الأولى). (داؤد الجلبي الموصلي، المترجمون) بيروت–لبنان: منشورات الجمل.
الساموك، سعدون محمود. (٢٠٠٢). *موسوعة الأديان والمعتقدات الدينية،ج٢* (المجلد الأولى). عمان– الظردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
مظهر، سليمان. (٢٠١٢). *قصة الديانات*. القاهرة: الوطن العربي.
باقر، طه. (٢٠١١). *مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة،ج٢* . بغداد: دار الوراق للنشر.
الموحي، عبد الرزاق رحيم صلال. (٢٠١٦). *العبادات في الأديان السماوية (اليهودية– المسيحية– الإسلام– القديمة)*. سورية– دمشق: دار صفحات.
العباداني، عبدالله مبلغي. (٢٠١١). *تأريخ الديانة الزرادشتية*. (عبد الستار قاسم كلهور، المترجمون) دهوك: مطبعة خاني.
عثمان، فارس. (ب.ت). *زرادشت والديانة الزرادشتية*. دمشق–بيروت: دار المحبة، دار آية.
السواح، فراس. (٢٠١٦). *موسوعة تاريخ الأديان– الكتاب الخامس*. بكين: مكتبة الفكر الجديد.
سَعفان، كامل. (١٩٩٩). *موسوعة الأديان القديمة– معتقدات آسيوية(العراق–فارس–الهند–الصين–اليابان)*. القاهرة: دار الندى.
حسن، محمد سليمان. (١٩٩٩). *تيارات الفلسفة الشرقية*. دمشق: دار علاء الدين.
مرحبا، محمد عبد الرحمن. (١٩٩٥). *بدايات الفلسفة الأخلاقية– الأخلاق في التراث البدائي والشرقي واليوناني*. بيروت– لبنان: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
غلاب، محمد. (١٩٣٨). *الفلسفة الشرقية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
النشار، مصطفى حسن. (٢٠١٢). *الفلسفة الشرقية القديمة*. عمان– الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
إسماعيل، نوري. (٢٠١٥). *الديانة الزرادشتية مزديسنا*. سوريا– دمشق: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع.
ديورانت، ول وايريل. (ب.ت). *قصة الحضارة– الشرق الأدنى، مج١،ج٢* . (محمد بدران، المترجمون) بيروت، تونس: دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المصادر والمراجع العربية المترجمة:–

Saab, Adib. (٢٠٠٥). Living Religions: Their Origins and Development. Beirut, Lebanon: Dar Al-Nahar.
Yahya, Osama Adnan. (٢٠١٦). Zoroastrianism: Observations and Opinions. Baghdad, Iraq: Ashurbanipal Bookstore.
Ahmed, Al-Shafi'i Al-Mahi. (٢٠٠١). Zoroaster and Zoroastrianism. Kuwait: Annals of Arts and Social Sciences, ٢١st Annual.
Orsel, Paul Masson. (١٩٤٥). Philosophy in the East. Egypt: Dar Al-Maaref.
Parrinder, Jeffrey. (١٩٩٦). Religious Beliefs of Peoples. (Translated by Imam Abdel Fattah Imam). Cairo: Madbouli Library for Publishing and Distribution.
Yousefi,Jamshid. (٢٠١٢). Zoroastrianism: Religion, Rituals, and Subsequent Transformations Based on the Avesta Texts. Beirut, Lebanon; Algeria: Ziz Legal and Literary Library; Dar Al-Wissam for Publishing and Distribution. Cooper, J.C. (٢٠١٤). The Illustrated Encyclopedia of Traditional Symbols. (Mustafa Mahmoud, Translators) Cairo: National Center for Translation.

Mahmoud, Harbi Abbas Atito. (١٩٩٩). From Eastern Thought to Greek Philosophy. Egypt-Alexandria: University Knowledge House.
Aboud, Hanna. (٢٠١٨). Encyclopedia of World Myths. Latakia-Syria: Al-Hiwar Publishing and Distribution House.
Zinner, R.S. (٢٠١٠). Encyclopedia of Living Religions, Vol.٢ (Vol.١). (Abdul Rahman Abdullah Al-Sheikh, Translators) Cairo: Egyptian General Book Organization.
Zoroaster. (٢٠٠٨). Avesta (The Holy Book of Zoroastrianism) (Vol.٢). (Khalil Abdul Rahman, Editor) Syria-Damascus: Rawafed for Culture and Arts.
Zoroaster. (٢٠١١). Vendidad (Vol.١). (Daoud Al-Jalabi Al-Mawsili, Translators) Beirut-Lebanon: Al-Jamal Publications. Al-Samouk, Saadoun Mahmoud. (٢٠٠٢). Encyclopedia of Religions and Religious Beliefs, Vol.٢ (Part ١). Amman-Dar Al-Manahij Publishing and Distribution House.
Mazhar, Suleiman. (٢٠١٢). The Story of Religions. Cairo: Al-Watan Al-Arabi.
Baqir, Taha. (2011). Introduction to the History of Ancient Civilizations, Vol.٢. Baghdad: Dar Al-Warraq Publishing House.
Al-Muhi, Abdul-Razzaq Rahim Salal. (٢٠١٦). Worship in the Abrahamic Religions (Judaism,Christianity,Islam, and Ancient Islam). Syria-Damascus: Dar Safahat.
Al-Abadani,Abdullah Muballighi.(2011).A History of the Zoroastrian Religion. (Translated by Abdul-Sattar Qasim Kalhor). Dohuk: Khani Press.
Othman, Fares. (n.d.). Zoroaster and the Zoroastrian Religion. Damascus-Beirut: Dar Al-Mahabba, Dar Aya.
Al-Sawah, Firas. (٢٠١٦). Encyclopedia of the History of Religions - Book Five. Beijing: New Thought Library.
Saafan, Kamel. (١٩٩٩). Encyclopedia of Ancient Religions - Asian Beliefs (Iraq-Persia-India-China-Japan). Cairo: Dar Al-Nada.
Hassan, Muhammad Suleiman. (١٩٩٩). Currents of Eastern Philosophy. Damascus: Dar Alaa El-Din.
Marhaba,Muhammad Abdul Rahman. (١٩٩٥). Beginnings of Moral Philosophy – Ethics in Primitive, Eastern, and Greek Heritage. Beirut, Lebanon: Ezz El-Din Foundation for Printing and Publishing.
Ghallab, Muhammad. (١٩٣٨). Eastern Philosophy. Cairo: Anglo-Egyptian Library.
Al-Nashar, Mustafa Hassan. (٢٠١٢). Ancient Eastern Philosophy. Amman, Jordan: Dar Al-Masirah for Publishing and Distribution.
Ismail, Nouri. (٢٠١٥). Zoroastrianism (Mazdisna). Syria, Damascus: Dar Alaa El-Din for Publishing, Printing, and Distribution.
Durant, Will and Ariel. (n.d.). The Story of Civilization - The Near East, Vol.١, Part٢. (Muhammad Badran, Translators) Beirut, Tunisia: Dar Al-Jeel, Arab Organization for Education, Culture and Science.

المصادر الأجنبية:-

Irani,D. J .(ب.ت) .*The Gathas - The Hymns of Zarathuthra*.
Boyce,Mary .(١٩٧٩) .*Zoroastrians- Their Religious Beliefs and Practices* .London, Boston and Henley: Routledge & Keganpaul.
Azargoshasb,Mobed Firouz .(ب.ت) .*Translation of Gathas - The Songs of Zarathushtra*.